عـــين جالوت

للأستاذ عبد الله مخلص

أذكرنا الأستاذ الألمعي محمد فريد أبوحديد بوقعة عين جالوت بين المصريين والتتار ، ووقفة الأولين فيها موقف الذائدين عن حياض الاسلام الذابين عن كيانه (١)

وما كان الاسلام لينسى لمصر ذلك اليوم الأغرّ المحجل الذى دفعت فيه ذلك السيل المتدافع من التتار وردتهم على أعقابهم يتعثرون فى أذيال الهزيمة والخسران ، ورفعت فيه نير التتار عن أعناق المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان لسنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م)

موقف المسلمين الأول فى عين جالوت

وللمسلمين فى عين جالوت مثل هذا الموقف المشرّف سبق موقفهم الثانى بنحو ثمانين سنة ، فقد بلغ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب اجتماع الفرنجة فى قرية صفورية ورحيلهم إلى قرية الفولة فسار اليهم يطلب حربهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، بينا كانوا ينضم بعضهم الى بعض يحمى راجلهم فارسهم ، وساروا حتى جاءوا عين جالوت ونزلوا عليها ، ونزل السلطان حولهم ، والقتل والجرح يعمل فيهم ليخرجوا إلى المصاف فلم يفعلوا خوفاً من المسلمين ؛ وكان ذلك أيضاً فى يوم الجمعة السابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٧٩ هـ ١١٨٣ م كأنّ الله اختص تلك الليلة الغراء واليوم الأزهر بالنصر

عين جالوت فى التوراة

وعين جالوت هذه هى المذكورة فى التوراة فى سفر صموئيل الأول فى الاصحاح ٢٩ : ١ باسم عين يزرعيل التى نزل عليها شاول بجيشه فى الحرب التى قامت سوقها بين الفلسطينين والاسرائيلين وأسفرت عن انتحار شاول المذكور بالقاء نفسه على سيفه والقضاء بهذه الصورة على حياته . ومات معه فى هذه الحرب بنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله

وهى أيضا عين حرود المذكورة فى سفر القضاة فى الاصحاح ٧ : ١ — ٨ ومنها شرب جيش جدعون بن يُوآش المعروف أيضاً باسم يربّعل عند نزوله لحرب المديانيين . وللتوفيق بين رواية القرآن المجيد عن هذه الوقعة أنقل للقارىء الكريم قبل ذكرها رواية التوراة فى الاصحاح المذكور وهذه هى :

« وقال الرب لجدعون كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فأوقفه حدّه ، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب . وكان عدد الذين ولغوا بيدهم الى فمهم ثلثمائة رجل . وأما باقى الشعب جميعاً فجثوا على رُكبهم لشرب الماء . فقال الربّ لجدعون بالثلثمائة الرجل الذين ولغوا أخلّصكم وادفع المديانيين ليدك . وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد إلى مكانه »

الى آخر ما جاء فى الاصحاح المذكور الذى ينتهى بخبر انتصار جيش جدعون وفرار المديانيين ومتابعة الأسرائيلين لهم ومطاردتهم

جالوت فى القرآن المجيد

وهذه آيات بينات من الذكر الحكيم عن جالوت من سورة البقرة :

« فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ، إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ، فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (آية ٢٤٩)

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

(١) الرسالة العدد ١٤٦ الصفحة ٦٢٩

قرية جالوت

ولنذكر صفة قرية عين جالوت فى القديم والحديث : قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : « عين الجالوت اسم أعجمى لا ينصرف ، وهى بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين كان الروم قد استولت عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن أيوب سنة ٥٧٩ »

قلنا وقد غشيتُ عين الجالوت غير مرّة مع نفر من موظفى الحكومة العثمانية فى قضاء جينين من أعمال نابلس حين كنت فى عدادهم ، وكنا نذهب اليها أحياناً للنزهة وقضاء يوم العطلة ، وكان الماء يتفجر أمامنا من سفح الجبل فيحيط بالمصطبة التى جلسنا عليها من جميع جوانبها ثم ينساب فى منحدر يصل إلى مدينة بيسان ويسقى فى طريقه الغلال والبقول

وليست عين الجالوت من العيون الصغيرة ، بل هى نهر صغير يقال له نهر الجالوت ؛ يحاذى سفح جبل قامت عليه بعض القرى والمزارع مثل زرعين[1] ونورس وغيرهما ؛ ويقال لهذا الجبل جبل الدحى[2] وبين هذا الجبل وجبل الطور المقابل له فى الناحية الشمالية مرج ابن عامر المعروف بوادى يزرعيل كما يعرف جبل الطور بجبل تابور فى التوراة

أما اليوم فان هذه القرية قد أصبحت ملكا لليهود يتصرفون فيها كيف يشاؤون ، فقد انتقلت ملكيتها من أصحابها الأصليين العرب اليهم فى السنين الأخيرة بعد أن وعدتهم الحكومة البريطانية بلسان وزيرها بلفور المشهور بانشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ومكنت لهم فى أرضها ، وهم كل يوم يقتنصون « بليدة لطيفة » من بلدان فلسطين فيشردون أهلها تحت كل كوكب ، ويبنون وطنهم العتيد على انقاض الاسلام وتراثه الخالد فيغيرون معالم البلاد ويردونها الى أصولها

هذه عين جالوت التى حمت فيها مصر الاسلام والمدنية والانسانية قبل سبعة قرون — كما قال الأستاذ أبو حديد — تعود فتسمى باسمها العبرى القديم عين حرود ، ويسكنها شذاذ الآفاق من اليهود

وفيها اليوم بحسب آخر احصاء لحكومة فلسطين ٤٨٣ نسمة يشغلون ١٣٥ بيتاً

ويا ليت أن المصيبة اقتصرت على ضياع عين الجالوت فقط من العرب ، بل إنها تعدتها إلى أكثر القرى الآهلة فى ذلك الوادى المرع ، وأصبح الباقى القليل عرضة للضياع والانتقال ، إلا إذا أراد الله بالمسلمين والعرب خيرا ، ودفع بالحكومات الاسلامية والشعوب العربية إلى الدفاع عن هذه الأرض المقدسة التى أسرى الله بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام اليها ، وجعلها قبل ذلك موطن أخيه عيسى بن مريم عليه السلام ، إذ ولد بها ودعا إلى عبادة الله فى أرجائها وأنحائها ، ورُفع إلى الله منها

قلنا ليس لمعضلة فلسطين ووقعتها من دون الله كاشفة . أما الدول الاسلامية فمن واجبها أن تحمى المقدسات فى بلاد فيها أولى القبلتين ، وثانى البيتين ، وثالث الحرمين . أما الشعوب العربية فمن مصلحتها أن تستملك وتتاجر وتسكن وتتوالد فى بلاد هى همزة الوصل بين الغرب والشرق ، وخط الاتصال بين آسيا وافريقية ، وباب جزيرة العرب التى أخذ قطانها يحبون كما يحبو الطفل الرضيع ويحاولون الوقوف على أرجلهم

فهل تتحقق الأحلام ، وتنقلب الآلام إلى آمال قبل استفحال الغزوة اليهودية المحكمة بين سمع الدولة البريطانية وبصرها ، بل تحت حرابها وبنادقها ورشاشاتها التى جعلتها حزباً لليهود وحرباً على العرب ؟ ولله الأمر من قبل ومن بعد

(حيفا) عبد الله مخلص

(١) اسم هذه القرية فى التوراة يزرعيل وهى من قواعد المدن ومواقع الأحداث فى زمن الاسرائيليين

(٢) اسم هذا الجبل فى التوراة حرمون الصغير وفى قنه مقام يقال إنه لدحية الكلبى

ظهر حديثاً كتاب

فى أصول الأدب

صفحات من الأدب الحى والآراء الجديدة

بقلم أحمد حسن الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن جميع المكاتب

وثمنه ١٢ قرشا عدا أجرة البريد